أثر التداولية في بناء التركيب الحواري
من خلال المشاهد الحوارية بين سليمان عليه السلام وملائه من الإنس والجن والطير وغير ذلك

د/ منى صقر محمد مصطفى
مدرس النحو والصرف والعروض، قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس

الملخص باللغة العربية

إن الهدف الحقيقي من استعمال التداولية هو الإيجاز والاختصار في الكلام.

وقد تحدث عنها علماؤنا القدماء بل وطبقوا عليها في كثير من كتبهم؛ إذن فهي لم تكن علما حديثًا ولكن ما جعلها تأخذ هذا الجلل الذي يبدو وكأنها علم غربي هو أنهم وظفوها في تعبيراتهم واستخداماتهم اللغوية فقط ليس أكثر.

فهي علم موجود حتى في حياتنا اليومية ويستخدمه أهل اللغة وغيرهم من غير المتخصصين بها.

ويعد بحثي هذا تطبيقًا للتداولية في التركيب اللغوي بين سليمان عليه السلام وملئه من الإنس وغيرهم من الجن والطير وغيرهم من دون ذلك.

ففي هذا البحث تظهر التداولية في مدلولها الحقيقي مكتملة الأركان مستوفية الأهداف.

فقد قسمت حديث سليمان مع ملئه إلى مشاهد حوارية ظهرت التداولية فيها بكل عناصرها وليس هذا فحسب بل كانت هناك تداولية على غير المعهود في اللغة لأنها تداولية بين طرفين ليسوا من نفس الجنس، ومع ذلك تم المراد المنشود من التداولية بكفاءة على المستويين التركيبي والتداولي أي فهم كلٌ منهما الآخر كما ولو كان الحوار بين طرفين من نفس الجنس.

الكلمات المفتاحية: التداولية، السياق اللغوي، الحوار اللغوي، التفاعل اللغوي، التواصل اللغوي.

abstract

The real purpose of using pragmatics is brevity and brevity in speech. Our ancient scholars spoke about it and even applied it in many of their books. So it was not a modern science, but what made it take this majesty that seems to be a Western science is that they employed it in their expressions and linguistic uses only, nothing more.

It is a science that exists even in our daily lives and is used by language people and others who are not specialists in it.

This research of mine is an application of the deliberativeness in the linguistic structure between Solomon, peace be upon him, and his fullness of humans and other jinns, birds, and others without that.

In this research, pragmatism appears in its true meaning, with complete elements and fulfilling objectives.

Suleiman's hadith was divided with its fullness into dialogue scenes in which deliberativeness appeared with all its elements, and not only that, but there was unusual deliberativeness in the language because it is deliberative between two parties who are not of the same sex. each

other as if the dialogue was between two parties of the same sex.

المقدمة

تعد التداولية علما يعبر عما في نفس الإنسان باشتراكه مع طرف آخر، فالتداولية تهدف في المقام الأول إلى الإيجاز والاختصار في الحوار. ولم تكن التداولية علما حديثا بل كانت موجودة في كتب علمائنا القدامى. فقد تحدث عنها كثير من علماء النحو والدلالة والبلاغة ، سواء أكان بطريق مباشر أو بغير مباشر ، فقد تحدث عنها سيبويه في أكثر من موضع، وكذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز. وغيرهم الكثير .

ولكن ما جعلها تأخذ هذا الجلل الذي يبدو وكأنها علم غربي هو أنهم وظفوها في تعبيراتهم واستخداماتهم اللغوية فقط ليس أكثر.

فهي علم موجود حتى في حياتنا اليومية ويستخدمه أهل اللغة وغيرهم من غير المتخصصين بها.

وأتحدث في بحثي هذا عن التداولية في التركيب اللغوي بين سليمان عليه السلام وملئه من الإنس وغيرهم من الجن والطير وغيرهم من دون ذلك.

ففي هذا البحث تظهر التداولية في مدلولها الحقيقي مكتملة الأركان مستوفية الأهداف.

فقد قسمت حديث سليمان مع ملئه إلى مشاهد حوارية ظهرت التداولية فيها بكل عناصرها وليس هذا فحسب بل كانت هناك تداولية على غير المعهود في اللغة لأنها تداولية بين طرفين ليسوا من نفس الجنس، ومع ذلك تم المراد المنشود من التداولية بكفاءة على المستويين التركيبي والتداولي أي فهم كلٌ منهما الآخر كما ولو كان الحوار بين طرفين من نفس الجنس.

وأبدأ بذكر التداولية لغة فهي: مصدر تداولاً، يقال: دال يدول دولًا: انتقل من حال إلى حال، وأدال الشيء: جعله متداولًا ، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة، وتلك مرة[١].

والتداولية اصطلاحًا: إن وضع أي حد، وتعريف أي جزء لا يستمد إلا من خلال استخدام هذا المعرف في مجاله، وملاحظة عناصره، وأجزائه ولما كانت هناك عدة توجهات للتداولية، لم يتفق بعد على صيغة موحدة جامعة مانعة لتعريف التداولية.

فالتداولية درس جديد وغزير إلا أنه لا يمتلك حدودا واضحة[٢] فقد كانت التداولية في بداياتها تستلهم وجودها من خلال ما يحيط بها من علوم نفسية، واجتماعية، وفلسفية، وتاريخية، وثقافية، ودينية... لذلك نلحظ أن التداولية في بداياتها لم تكن ذات طبيعة تخصصية، وبعد ظهورها على الساحة العلمية سعت في إثبات ذاتها، بأن أصبح لها طابع مستقل وكيان منفصل عن العلوم الأخرى، يعرف باسم التداولية، والتي تربط دارس تركيب النص بما يحيط بها من ملابسات سياقية[٣].

وكان أقدم تعريف للتداولية تعريف موريس سنة ١٩٣٨م. حين قال: إن التداولية من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات[٤]. ويقصد موريس بذكره لفظة "سميائية" أي دراسة تعبيرات الوجه التي تفيد في تحليل الخطاب بين شخصين بينهما حوار قائم. أو دراسة الرموز الإشارية المقصودة في الحوار لربط شيء ما بالآخر، أو استكمال تواصل بين شخصين من خلال حوار قائم سواء أكان بالكلام أو بالإشارة. . وهذه هي التداولية التي عرفناها بعد ذلك باسمها في كتب علمائنا القدماء والتي تحدثوا عنها ودرسوها بكل أركانها والتي لم يخل القرآن الكريم منها سواء أكانت في

القصص القرآني نفسه، أو في الأوامر والنواهي التي تأتي فيه بطريق مباشر أو غير مباشر.

ويعرفها آن ماري دبير، وفرانسوز ريكاناتي بقولهما: التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب[٥].

أما أول من وضع مصطلح التداولية من العرب في مقابل مصطلح البراجمتية[٦] فهو الفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمن (سنة ١٩٧٠م).

وأوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال، او في النصوص in inter action؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد، مادي، واجتماعي، ولغوي، وصولًا إلى المعنى الكامل في كل منهم[٧].

وقد عرفت التداولية أيضًا على أنها: مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق صياغة العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات، والطبقات المقامية المختلفة، التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة، وناجحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية[٨]. ويمكن القول أن التداولية pragmatics: اتجاه في الدراسات اللسانية، يعني بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية، الخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين، والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق[٩].

كما قيل أيضا إنها كعلم استعمال اللغة في المقام[١٠].

إذن فالتداولية في الاصطلاح أي في الاستعمال من وجهة رأيي هي معرفة مسبقة بين الطرفين ، معرفة بالظروف الخارجية من ظروف ثقافية، اجتماعية، لغوية، لهجية، مكانية، ودينية أيضًا.

فلو أنني في سياق محدد وقلت كلمة أو عبارة كاملة وكانت تلك العبارة مفهومة لدى المتلقي، ثم قلت نفس العبارة في سياق آخر أي موقف آخر لمتلقي آخر ربما لا يفهم قصدي ولا يصل له ما أريد ؛ وذلك لأن المتلقي الأول لديه من الخلفيات والمعلومات المسبقة ما ليس عند المتلقي الآخر. وهذا ما أقصده بالتداولية اللغوية التي يتحدد معناها داخل السياق المحدد في الموقف المحدد لدى الشخص المحدد أيضا. فلا أستطيع أن أتحدث بنفس العبارة وإن كان الموقفان متشابهين في الحدث فلا أستطيع أن أستخدم نفس العبارة مع شخصين مختلفين؛ لأن كلا منهما لديه المعلومات والثقافات التي أعلمها أنا وأعلم كيف يفهم كل منهما كل عبارة أقصدها. إذن التداولية اللغوية يحددها السياق والموقف ليس فحسب بل والمتلقي أيضا حسب معرفة المرسِل بما يملكه المتلقي من خلفية ثقافية ومعلومات مسبقة عن حوار الموقف.

فمثلا عندما تقول الأم لابنها: اشرب اللبن. فيرد قائلا: أنا لا أشعر بالنعاس الآن. فهذا الموقف المحدد في هذا الوقت بين المرسل والمتلقي لا يفهمه إلا هما ؛ لأن الابن لا يشرب اللبن إلا قبل نومه كما أمره الطبيب مثلا. فإذا قالت الأم لابنها الآخر اشرب اللبن . فيقول : نعم سأشربه ، أو: بعد أن أنتهي من الطعام أفضل. إذن ليست فقط العبارات في السياقات هي التي تمثل التداولية فحسب بل المرسل والمتلقي أيضا هما طرفان أساسيان في تحديد المقصود بتداولية الموقف.

أركان التداولية

١- وللتداولية أركان محددة يتم من خلالها إتمام عملية التداول. هي:

٢- السياق

يعد عنصر السياق عنصرًا أساسيا في قيام النظرية التداولية والذي يتكون من مجموعة العناصر المصاحبة للحدث اللغوي كالمرسِل والمخاطَب والزمان

والمكان وعدد المشاركين في الحدث اللغوي وطبيعة المناخ والوضع السياسي والاقتصادي إن كان لها دور في بناء وتحليل التركيب اللغوي وغيره. "فالسياق هو "الوضعية الملموسة، والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان، وهوية المتكلمين...، وكل ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم ما يقال، وتقويمه"[١١].

٣- عناصر السياق

٤- ١- المرسِل.

٥- ٢- المرسَل إليه: المخاطَب.

٦- ٣- الزمان والمكان.

٧- ٤- المعرفة المشتركة. بين الطرفين.

فإن كانت مناهج البحث اللغوي على تعددها تسعى إلى إثبات المعنى وتأكيده مع اختلاف المنهج والطريقة، فإن التداولية أقرب الطرق العملية وأثرها دقة في كشف المعنى وتوضيحه؛ وذلك لاعتمادها على أسس عملية في التحليل الغوي، فالمرسل والمخاطب والمقام وظروف المقال وعدد المشاركين في الحدث اللغوي والزمان والمكان عناصر هامة في تحديد القوة الإنجازية للتركيب اللغوي. فالعلاقة بين اللغة والسياق علاقة أساسية في التحليل اللغوي التداولي؛ لأن فهم المعنى يتطلب من أكثر من مجرد معرفة الدلالة اللغوية لعلامات التركيب اللغوي، بل يجب دمج التركيب اللغوي بالمعنى السياقي، فالتداولية مهتمة بالتراكيب اللغوية ملفوظة في سياقها[١٢].

وأذكر الفارق الجوهري بين علم الدلالة ، والتداولية : فإن علم الدلالة semantics: علم يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها[١٣].

وأيضًا هو: العلم الذي يدرس المعنى[١٤].

أي يركز كل اهتمامه على المعنى المتولد من اتحاد التراكيب النحوية بعضها مع بعض، والتي تولد بذلك المعنى الحرفي الذي يبتعد كل البعد عن كل ما هو خارج السياق، فإذا أردنا أن نحدد دلالة أي تركيب من التراكيب، يجب أن نحدد بدقة دلالة كل كلمة من كلمات هذا التركيب، ثم ننظر إلى المحصلة الدلالية التي هي خلاصة المبنى والمعنى معًا. ففي كل عملية تواصل لغوي غير البشر تكون اللغة أداة نقل المعاني والأفكار الثاوية خلف تلك الكلمات.

١- إذن يمكننا أن نلاحظ فرقًا جوهريًا بين الدلالة والتداولية. فعلم الدلالة يهتم بدراسة دلالة التركيب النحوي بقطع النظر عن الملابسات السياقية الخارجية.....[١٥]. على النقيد من ذلك تفعل التداولية.

٢- وبناء على ذلك يمكن تقسيم المعنى إلى قسمين:

٣- معنى دلالي يعتمد على دلالة مفدات التركيب الخاصة، وما تقدمه للعبارة من معاني مرتبطة فيما بينها بضوابط تركيبية من غير ملاحظة للعلاقات التركيبية غير اللغوية المصاحبة للحدث اللغوي.

٤- ومعنى تداولي يتجاوز حدود التركيب ودلالته السطحية فيربط التركيب بمجموعة العناصر المكونة للحدث الكلامي التي يمكن بطريقها توليد معانٍ مقامية عدة تداولية وظيفية[١٦].

المشاهد التداولية بين سليمان وملئه من الإنس والجن والطير وغيرهم من دون ذلك.

{ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) }[١٧]

لقد من الله على سليمان عليه السلام بمعجزة ضمن معجزات عديدة وهي: علم منطق الطير وغيره من الكائنات الحية التي لها أي نطق أو يصدر عنها صوت حتى وإن كان هذا الصوت لا يسمعه إلا نبي الله سليمان عليه السلام أو يفهمه هو وحده حتى وإن كانت العرب قد استدلت على بعض أصوات الطير بمفاهيم تجعلهم يعرفون بعض أصواتهم فقد عُلِّم سليمان عليه السلام منطقهم أي لا لبس في صوت ولا مجال للتوهم بعد أن علم من الله.. وقد ضُمِّنت النملة ضمن الطير ؛ لأنه قيل أنها كانت ذات جناحين ؛ لذا عدت ضمن الطير فقد قال قتادة والشعبي: " وكذلك كانت هذه النملة القائلة ذات جناحين"[١٨] فهذه المعجزة التي لم تؤت لنبيٍّ قبله؛ جعلته يملك فهم الأشياء من حوله حتى الطيور التي تطير حوله، وأقول هنا أن فهم منطق الطير هو الذي نشأ الحوار بينه وبين قومه. فجعله يأمر وينهي بسهولة ويسر. فالتداولية هنا ليست بين شخص وآخر بل بين شخص وطير وهذا غير مسبوق في اللغة إلا من خلال هذا المشهد التداولي؛ لأن المنطق هنا يعني كل ما يتفوه به الطير

من أصوات يعبر بها عن مقصوده. فالنطق في اللغة هو ما ورد في المعاجم العربية فقال ابن منظور وغيره: "نطق : نطق الرجل ينطق نطقًا ومنطقًا ونطوقًا : أخرج الكلام من الفم بصوت ومقاطع"[١٩]. "ويقال : أنطقه الباري عز وجل واستنطقه أي: تكلم معه"[٢٠].

وقد قال الزمخشري في هذا: "والمنطق : كل ما يصوت به من المفرد والمؤلَّف المفيد وغير المفيد . وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق ، وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم ، وقالت العرب : نطقت الحمامة ، وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته ، والذي علمه سليمان من منطق الطير : هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه . ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه ، فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : الله ونبيه أعلم : قال يقول : أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء . وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاووس ، فقال يقول : كما تدين تدان . وصاح هدهد ، فقال يقول : استغفروا الله يا مذنبين . وصاح طيطوى ، فقال يقول : كل حيّ ميت ، وكل جديد بال . وصاح خطاف فقال يقول : قدّموا خيراً تجدوه . وصاحت رخمة ، فقال تقول : سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه . وصاح قمري ، فأخبر أنه يقول : سبحان ربي الأعلى . وقال : الحدأ يقول : كل شيء هالك إلا الله . والقطاة تقول : من سكت سلم . والببغاء تقول : ويل لمن الدنيا همه، والديك يقول : اذكروا الله يا غافلين . والنسر يقول : يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت . والعقاب يقول : في البعد من الناس أنس . والضفدع يقول : سبحان ربي القدوس.[٢١]" وأورد أبو حيان في قوله: {مَنطِقَ الطَّيْرِ} أنه : "استعارة لما يسمع منها من الأصوات ، وهو حقيقة في بني آدم ، لما كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بني آدم ،

كما يفهم بعض الطير من بعض ، أطلق عليه منطق وقيل : كانت الطير تكلمه معجزة له"[٢٢]

فكل هذه الأصوات والتفوهات التي يصدرها الطير كانت معلومة ومفهومة عند نبي الله سليمان عليه السلام. فإن كانت العرب قبل سليمان عليه السلام تتأول منطق الطير على غير علم فإن سليمان عليه السلام كان يعلمها علم المنطق الذي مُنَّ عليه من الله سبحانه وتعالى. فتفهمه لمنطق الطير تنشأ التداولية في سياقها التركيبي المألوف ما دامت بين طرفين يفهم بعضهما بعضًا.

وقد تحدث ابن عاشور عن هذا في حديثه عن دلالات أصوات الطير فقال:

"وَعِلْمُ مَنْطِقِ الطَّيْرِ أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ بِأَنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي تَقَاطِيعِ وَتَخَالِيفِ صَفِيرِ الطُّيُورِ أَوْ نَعِيقِهَا مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى مَا فِي إِدْرَاكِهَا وَإِرَادَتِهَا. وَفَائِدَةُ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَبِيلًا لَهُ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى تَعَرُّفِ أَحْوَالٍ عَالَمِيَّةٍ يَسْبِقُ الطَّيْرُ إِلَى إِدْرَاكِهَا بِمَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْقُوَى الْكَثِيرَةِ، وَلِلطَّيْرِ دَلَالَةٌ فِي تَخَاطُبِ أَجْنَاسِهَا وَاسْتِدْعَاءِ أَصْنَافِهَا وَالْإِنْبَاءِ بِمَا حَوْلَهَا مَا فِيهِ عَوْنٌ عَلَى تَدْبِيرِ مُلْكِهِ. ... وَدَلَالَةُ أَصْوَاتِ الطَّيْرِ عَلَى مَا فِي ضَمَائِرِهَا: بَعْضُهَا مَشْهُورٌ كَدَلَالَةِ بَعْضِ أَصْوَاتِهِ عَلَى نِدَاءِ الذُّكُورِ لِإِنَاثِهَا، وَدَلَالَةِ بَعْضِهَا عَلَى اضْطِرَابِ الْخَوْفِ حِينَ يُمْسِكُهُ مُمْسِكٌ أَوْ يُهَاجِمُهُ كَاسِرٌ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ دَلَالَاتٌ فِيهَا تَفْصِيلٌ، فَكُلٌّ كَيْفِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ الدَّلَالَاتِ الْإِجْمَالِيَّةِ تَنْطَوِي عَلَى تَقَاطِيعَ خَفِيَّةٍ مِنْ كَيْفِيَّاتٍ صَوْتِيَّةٍ يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِيهَا دَلَالَاتٌ عَلَى أَحْوَالٍ فِيهَا تَفْضِيلٌ لِمَا أَجْمَلَتْهُ الْأَحْوَالُ الْمُجْمَلَةُ، فَتِلْكَ التَّقَاطِيعُ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا النَّاسُ وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا خَالِقُهَا، وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ دَلَالَةِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا فِي لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ وَفَكِّهَا وَإِدْغَامِهَا وَاخْتِلَافِ حَرَكَاتِهَا عَلَى مَعَانٍ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا مَنْ يَعْرِفُ تِلْكَ اللُّغَةَ مَعْرِفَةً ضَعِيفَةً وَلَمْ يُتْقِنْ دَقَائِقَهَا. مِثْلُ أَنْ يَسْمَعَ ضَلَلْتُ وَظَلِلْتُ، فَاللَّهُ

تَعَالَى أَطْلَعَ سُلَيْمَانَ بِوَحْيٍ عَلَى مُخْتَلَفِ التَّقَاطِيعِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي فِي صَفِيرِ الطَّيْرِ وَأَعْلَمَهُ بِأَحْوَالِ نفوس الطير عِنْد مَا تَصْفُرُ بِتِلْكَ التَّقَاطِيعِ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي حِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ... وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَنْطِقِ الطَّيْرِ إِيجَازٌ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَهِيَ أَبْعَدُ الْحَيَوَانِ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَسْرَعُهَا نُفُورًا مِنْهُ، عَلِمَ أَنَّ مَنْطِقَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اخْتِلَاطًا بِالْإِنْسَانِ حَاصِلٌ لَهُ بِالْأَحْرَى"[٢٣].

إذن فأركان التداولية قد اكتملت في مقام الحوار بين سليمان عليه السلام والطير فما دام أن هنا مخاطِب يرسل ومخاطَب يستقبل وسياق يدور فيه الحوار بمعرفة المخاطِب عن أحوال مسبقة للمخاطَب فهذه هي التداولية التركيبية التي سنراها في المشاهد الحوارية بين سليمان والطير وغيرهم من ملأ الجن والإنس.

١ – المشهد الأول: الحوار مع النملة.

{ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}[٢٤]

بدأت التداولية هنا بالمشهد الأول بحوار النملة إلى معشر النمل فكان الخطاب من نفس الجنس ، فهنا كانت التداولية ليست بين شخص وآخر بل بين نملة وقومها، حتى سمعها نبي الله سليمان عليه السلام حين جاء على الوادي الذي يسكن فيه النمل وقوله تعالى { حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ }[٢٥] يشير إلى أنهم جاءوا من أعلى الوادي والنمل كان يسكن أسفله. أو أنهم بَلَغوا آخر الوادي حيث يسكن النمل هناك، " فإن قلت : لم عدّي) أَتَوْا (بعلى ؟ قلت : يتوجه على معنيين أحدهما ؛ أن إتيانهم كان من فوق ، فأتى بحرف الاستعلاء. ... والثاني : أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره ، من قولهم : أتى على الشيء إذا

أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي"[٢٦]. وقال الآلوسي في هذا التأويل: " حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها وهي ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى : { فَهُمْ يُوزَعُونَ }[٢٧] من السير كأنه قيل : فساروا حتى أتوا الخ "[٢٨]مما جعل النملة تسرع بقولها لهم { قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ }[٢٩] وقولها لهم{ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }[٣٠] " جملة حالية ، أي إن وقع حطمٌ ، فليس ذلك بتعمد منهم ، إنما يقع وهم لا يعلمون بحطمنا. وهذا التفات حسن ، أي من عدل سليمان وأتباعه ورحمته ورفقه أن لا يحطم نملة فما فوقها إلا بأن لا يكون لهم شعور بذلك"[٣١]. مما يؤكد ذلك على أنهم لو كانوا يشعرون بهم ما أتوا عليهم ولا حطموهم.

وتشير هذه الجملة الحالية إلى مدى تأدب النملة في حديثها عن سليمان عليه السلام هو وجنوده حتى وإن كان لا يسمعها؛ لأنها كانت تخاطب قومها فربما كانت تعلم أن سليمان كان يسمعها أو لا تعلم فعلى أية حال التزمت الأدب في حديثها عنه. وهذا ما جعل نبي الله سليمان عليه السلام يتبسم ضاحكا من قولها في قوله تعالى : { فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا }[٣٢] ؛ لأنه أولًا: فهم ما قالته وثانيًا: لأنه رأى خوفها على قومها منه هو وجنوده، فهذا ما جعله يشكر الله على ما آتاه من فضله من فهم لغتها، في قوله تعالى: { وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[٣٣]. فقد اشترك سليمان عليه السلام في هذا الحوار ولكن ليس عن طريق الخطاب ولكن حينما تبسم بعدما سمع النملة واستجاب لها دون تدخل قولي منه، وحتى دون أن يكون طرفا في الحوار.

وهنا ظهرت التداولية التي كانت عبارة عن رد فعل (التبسم) غير منطوق على حوار كائن منطوق. وهذا غير متداول في اللغة فهذا الأسلوب تداولي نادر وغير معهود في اللغة.

٢ – الحوار الثاني مع الهدهد

{ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) }[٣٤]

وبدأت التداولية هنا بمشهد تفقد سليمان عليه السلام لمواقع الطير وجاءت كلمة "تفقَّد" بهذه الصيغة المتكلفة وكأنه يدقق النظر ويتحرى الدقة في التزام كل منهم مكانه وكأن الطير كله في حالة تأهب وفي نفس الوقت حالة ثبات حتى لا يراهم سليمان عليه السلام في غير موضعهم. فلما تفقدهم مكانا مكانا ونوعا نوعا وجد الهدهد ليس من بينهم في مكانه فأخذ يتساءل بتعجب في قوله تعالى: { مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ }[٣٥] وسبب هذا التعجب أعتقد أنه راجع إلى أن هذا التغيب ليس من عادة الهدهد ولا غيره إلا بعد إذن سليمان عليه السلام. ونلاحظ هنا التداولية جاءت ولكن في حوار بين سليمان ونفسه من الحوار الذي دار في نفسه سواءً أكان بصوت مسموع أو بغير مسموع. وقوله تعالى: {

أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ }[٣٦] دليل على أنه لم يتمم التفقد ولكنه وجد الهدهد متغيبا فظن أن المتغيبين كثيرون فعده منهم.

ثم أخذ يتوعد للهدهد بالعذاب والذبح الذي فيه نوع من العقاب ربما لأن الصيغة التي ورد بها كلمة "ذبح" مؤكدة بتأكيدين "اللام، والنون" وهذا يدل على طريقة في الذبح غير الطريقة التي يعتادها هو في ذلك. ثم بجاء بتخيير آخر للهدهد وربما جاء به بعد الأول صعوبة حدوثه من وجهة نظره ففي قوله تعالى: { أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }[٣٧] وكأن إتيانه بسلطان مبين شيء صعب بل مستحيل لأنه جعله في المرتبة الثانية من التخيير ولم يبدأ به، فقد بدأ بالعذاب والذبح أي بالعقاب والجزاء قبل السماح والعفو.

وبدأ مشهد مجيء الهدهد بسرعة حديثه هو لنبي الله سليمان عليه السلام، وكأن الهدهد سارع بالتبرير عن تغيبه قبل أن يسأله سليمان عليه السلام.

وهنا جاءت التداولية بالحوار الثاني مباشرة أي برد الهدهد دون سؤال سليمان عليه السلام. ويدل ذلك على معرفة الهدهد بالخطأ والجرم الكبير الذي فعله حين ترك موقعه دون إذن نبيه. { فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ }[٣٨]

وهنا تظهر التداولية التي تعني معرفة المخاطب بما في نفس المخاطَب فلما عرف الهدهد بما في نفس سليمان له من توعد وغضب بدأ حديثه لسليمان بسبب التغيب قبل أن يطلب منه. ولما كانت فعلته التي فعلها شديدة الخطأ كان لزاما عليه أن يكون هذا الفعل له سبب عظيم يجعل سليمان يأتي بالتخيير الثاني الذي وضعه له { أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}[٣٩] فأخذ سليمان يستمع إلى الهدهد منصتا له دون قطع حديثه حتى أنهى الهدهد ما رآه كاملا.

وبدأ الهدهد وصفه بهول ما رآه وهو يعلم جيدا أن هذا شيء عجاب لسليمان عليه السلام فقال: { إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ}[٤٠] وكونه بدأ بأنه رأى امرأة تملك قوما ولها عرش هذا شيء غير مألوف بل له ما له في نفس سليمان حين يسمعه. وهذا يدل على ذكاء الهدهد في اختياره لما يبدأ به مع نبيه حتى يجذب انتباهه ويستطيع أن يبرر لنفسه سبب تغيبه. حتى أنهى ما رآ دون توقف. وهنا تظهر التداولية التي تمثلت في معرفة الهدهد "المخاطب" لما في نفس سليمان عليه السلام "المخاطَب" من غرابة المشهد الذي رآه الهدهد "(امرأة) ، (تملك قوما) ، (لها عرش)". فهذا الأمر جعل سليمان عليه السلام يفكر في كيفية إتيانها وقومها مسلمين، فهذا كل ما شغل باله حينها.

اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)[٤١].

ثم استكمل المشهد التداولي بأمره أن يأخذ الكتاب ؛ ليلقه إليها ، فليس هذا فحسب بل ينتظر حتى يراقب ردة فعلهم على هذا.

إذن التداولية هنا بدأت بفعل من الهدهد وهو إلقاء الكتاب إليهم. إذن فهي تداولية فعلية وليست كلامية فليس فيها حوار. فأخذ الهدهد ينتظر ردة الفعل منهم، وهنا التداولية الكلامية بدأت بحوار الملكة مع ملئها.

فالتداولية في هذا المشهد كانت مكونة من حوار جاء تاليا لفعلو وليست من حوار على حوار مماثل. وهذا الأمر غير مألوف ولا معهود في اللغة بل ظهر في هذا البحث الذي قامت التداولية فيه أصلا على حوار البشر وغير البشر من أصناف مختلفة.

٣ – المشهد الثالث ملكة بلقيس مع مَلَئِها

{قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩). إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠). أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١). قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢). قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣). قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤). وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥). }

وبدأت التداولية هنا في هذا المشهد بحوار الملكة بلقيس مع ملئها بعد أن ألقى إليها الهدهد الكتاب الكريم الذي أُرسِل به. ويبدو أنهم لم يبادلوها الحوار بأي كلام فلم يكن هناك حوار منهم لها؛ لأنها عاودتت الطلب منهم مرة أخرى بقولها في قوله تعالى: { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي}[٤٢]. هنا حاوروها بردهم في قوله تعالى: { قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }[٤٣] وهذا الرد كان فيه دعم لها ومساندة منهم قوية لها فجاء ردهم قوي اللهجة وحاضر الاستعداد بما يملكونه "ظنا منهم" من قوة وبأس شديد.

ولكن أرجعوا الأمر في نهاية الحوار لها في قولهم لها في قوله تعالى : { فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ}[٤٤]. وهذا بالضرورة يستلزم منها ردا عليهم. فبالفعل استمر الحوار بينهم حتى أخذت القرار بإرسال هدية منها إلى سليمان عليه السلام بقولها في قوله تعالى: { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}[٤٥]. وختامها بهذه الطريقة وهذا الأسلوب يعني أنها تنتظر ردا أو ردة فعل على ما ستقوم به، وهذا يدل على جهلها بالذي سيحدث من سليمان عليه السلام.

٤ – المشهد الرابع حوار سليمان مع الهدهد بعد إرسال بلقيس معه الهدية
{ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) }[٤٦]

وبدأت التداولية في هذا المشهد بحديث سليمان إلى رسوله "الهدهد" الذي قد أرسله لهم بكتابه من قبل، فلما رأى سليمان معه هدية وهو يعلم ما الغرض منها، استنكر هذا الأمر بشدة ، فربما أخذ يحدث نفسه هو بقوله: "أتمدونني" ؛لأن الذي جاء بالهدية الهدهد وليس واحدا منهم. فهذا ما جعلني أفسر حديثه إلى نفسه ، وكأنه تعجب باستنكار مما فعلوا ، فوجاء كلامه بليغا حينما استخدم الفاء بدلا عن الواو في قوله: { فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ }[٤٧]

وعقب الزمخشري عن استخدام هذا الأسلوب تحديدا فقال: " فإن قلت : ما الفرق بين قولك : أتمدني بمال وأنا أغنى منك ، وبين أن تقوله بالفاء ؟ قلت : إذا قلته بالواو ، فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى واليسار ، وهو مع ذلك يمدني بالمال . وإذا قلته بالفاء ، فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي ، فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده ، كأني أقول له : أنكر عليك ما فعلت ، فإني غني عنه . وعليه ورد قوله :) فَمَا آتَانِى اللَّهُ (. فإن قلت : فما وجه الإضراب ؟ قلت : لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره ، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه : وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح ؛ إلا أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها .

ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ، ويكون المعنى : بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك ، بأنكم قدرتم على إهداء

مثلها . ويحتمل أن يكون عبارة عن الردّ ، كأنه قال : بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها".[٤٨]

ثم استأنف حديثه إليه بطلب الرجوع إليهم بالهدية مع توعد منه لهم بما سيحدثه لهم بهذه الفعلة.

٥ – المشهد الخامس: مشهد سليمان مع مَلَئِهِ من غير الإنس

{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨). قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩). قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠). قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١). }

وبدأ هذا المشهد بحوار سليمان مع ملئه من الإنس وغيرهم من غير الإنس.

فلما بدأ سليمان حواره طلبا منه بتوجيه السؤال لهم جميعا في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: { أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}[٤٩].

وأول من أخذ يبادله الحوار ويرد مسرعا ليلبي له طلبه هو عفريت من الجن، "وَجُمْلَةُ: قالَ عِفْرِيتٌ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَ جَوَابِ الْمُحَاوَرَةِ فَفُصِلَتْ عَلَى أُسْلُوبِ الْمُحَاوَرَاتِ" [٥٠] وهنا كان حواره مع غير الإنس من الجن، في قوله تعالى على لسان العفريت: { قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ}[٥١].

ففي قول "قبل أن تقوم من مقامك" سرعة يظن العفريت أنها هي الأسرع وليس بعدها سرعة قط. وهذا الأسلوب الحواري "التداوليي" نتج عن معرفة العفريت بمدى أهمية السرعة في أداء هذه المهمة لدى سليمان عليه السلام. ولم يتأخر الملبي الثاني بعده فقد قال مسرعا في قوله تعالى على لسان الرجل الصالح: {

قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}[٥٢]. " وَجُمْلَةُ: قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَيْضًا جَوَابُ مُحَاوَرَةٍ "[٥٣]. فجاءت سرعة الأداء في حوار الرجل الصالح أسرع من سرعتها في قول العفريت ؛ لذا قالها الثاني وهو متيقن أنه هو الذي سيقوم بهذه المهمة؛ لما عرف ما في نفس سليمان من أهمية السرعةب النسبة له في هذا الأمر، كما أنه علم أنه يريد السرعة مع المحافظة على إتيان عرشها دون نقصان أو زيادة أو حتى قلقلة، فأراده ثابتا كما كان في مكانه ، فكأنه هناك لم يتحرك البتة. وبالفعل جاءه كما أراد في قوله تعالى: { فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي }[٥٤].

وفي قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: { قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ}[٥٥]. استكمالا للأسلوب الحواري الذي قد بدأه سليمان عليه السلام في أول الجلسة مع الملأ كافة ، وقال ابن عاشور في ذلك: " هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْمُحَاوَرَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ مَلَئِهِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُعْطَفْ لِأَنَّهُ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ الْمُقَاوَلَةِ وَالْمُحَاوَرَةِ."[٥٦].

٦ – المشهد السادس حوار سليمان مع ملكة بلقيس

{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) }[٥٧].

ودار هذا الحوار الأخير في هذا البحث بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ بلقيس. فبعدما نُكِّرَ عرشها وتغير حاله الذي كان عليه، أخذ يسألها سليمان عليه السلام "أهذا عرشك" وهو يعلم الإجابة ولكنه أراد أن تنطقها هي بنفسها حتى تظهر ما في نفسها من علمها بقوة سليمان وجنوده. فلما أجابت لم تقل نعم هو أو لا لم يكن هو بل جعلت الإجابة مظنة القول فقالت: "كأنه هو" وربما جاء هذا الرد دليلا على مدى تعجبها وتحيرها في الأمر كله كيف حدث ومتى؟!.

ثم حدث حوار تداولي قام فيه سليمان بالرد عليها دون أن تسأل ولكن جاءت التداولية هنا بتداول قول عن فعل، فلما كشفت هي عن ساقيها رد عليها سليمان بقوله في قوله تعالى: { قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ}[٥٨]. فلما علم سليمان بما جعلها تكشف عن ساقيها قام بالرد دون أن ينتظر أن تخطو كاشفة عن ساقيها، أو دون أن ينتظر منها سؤالا عن كيف كان هذا الصرح؟ وهنا ظهرت التداولية التي تتأتى من الإجابة عن سؤال غير منطوق

فبعدها قامت بلقيس بالحوار مع الله رب العالمين مظهرة له إسلامها مع سليمان عليه السلام.

نتائج البحث

ومن النتائج التي خَلُصْتُ بها من هذا البحث:

١ – أن من المشاهد التداولية التي وردت في البحث كان بعضها ناتج عن حوار سليمان مع نفسه يعني خطابه هو لنفسه وليس خطابا لمخاطب أو غائب. ومع ذلك نشأت التداولية في سياق هذا الحوار.

٢ – أن التداولية كانت سريعة المشاهد وسريعة الأحداث وهذا نتجته أن الحوار التداولي كان إما مع سليمان ونفسه أو مع سليمان وطيره وجنه ، فالحوار مع النفس سريع جدا ومع الطير والجن كذلك لأنهم مسخرون له لا يقومون إلا بما يأمرهم به فقط وإن حدث غير ذلك فهو على غير المألوف، كما حدث في مشهد الهدهد.

٣ – ظهرت تداولية في البحث لم تكن تداولية عن قول في نفس المخاطَب بل عن فعل قام به المخاطَب ولم ينطق به مثل الذي حدث في رد سليمان عليه السلام لما كشفت بلقيس عن ساقيها فرد عليها دون أن تتكلم أو تسأل في قوله تعلى على لسان سليمان عليه السلام { قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ}[٥٩]

٤ – وجود أكثر من نوع للتداولية في هذا البحث

فظهرت التداولية بين شخص وآخر

وبين شخص وطير

وبين شخص وعفريت

وليس هذا فحسب بل قامت تداولية حوارية أصلها حوار شخص على فعل قام بها الشخص الآخر دون حوار، فبنيت على غير المألوف.

ثبت المصادر والمراجع.

المصدر:

القرآن الكريم.

المراجع العربية:

– أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ت١٨٠هـ)، الكتاب: كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، دار النشر: دار الجيل، بيروت. د.ت.

– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت(٥٣٨هـ)، الكتاب: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المفصل في صنعة الإعراب، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣ م.

– إبراهيم أنيس، الكتاب: النحو العربي النواحي الوظيفية والدلالية، دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة (١٩٦٣م).

– ـــــــــــــ: دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢، ١٩٦٣.

– أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي: الشهير بابن عرفة ، تفسير ابن عرفة المالكي، تح: الدكتور حسن المناعي، دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، ط:١. – ١٩٨٦ م.

–أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية. الطبعة. الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع المغرب، ١٩٨٥ م.

– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ١٩٩٤.

– أحمد بدوي، من بلاغة القرآن: مكتبة النهضة، القاهرة، ط٣، ١٩٥٠.

– أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط:١. ٢٠١٥م.
– أحمد مختار عمر: علم الدلالة، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
– أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية: دار المكتبي للطباعة والنشر، ط٢، سوريا، ١٩٩٩.
– بخيت، هاني محمد رشاد: البراجمتية الأمريكية المعاصرة واصولها اليونانية، المكتبة المصرية.
– بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن: دار الشروق، ط٤، ١٩٨٠.بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
– التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧١.
– جميل صليبة: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني.
– جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م
– جورج يول "George Yule " التداولية، ترجمة: الدكتور قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم. الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
– حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي: المطبعة النموذجية، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٤٩.
– حياة شرارة، تولستوي فناناً: دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٧٩.
– خالد محمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية: دار الشهامة للطباعة والنشر.
– خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب: منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٣.

– سيد قطب، في ظلال القرآن: دار الشروق، ط٩، ١٩٨٠.
– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠ هـ.)، الكتاب: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسب المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١.
– صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ١٩٨٧.
– طالب بن عثمان، البراغمتية، وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات.
– عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية معياراً نقدياً . منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.
– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه: مطبعة المدني، دار الفكر العربي.
– عمر السُلامي، الإعجاز الفني في القرآن: مصنع الكتاب للشركة التونسية، تونس، ١٩٨٠.
– فاتح عبد السلام، الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩.
– فالح الربيعي، القصص القرآني . رؤية فنية: دار الثقافة للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢.
– فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، تح: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧ م.
– ابن كثير: البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت.
– محمد أبو موسى، التصوير البياني . دراسة تحليلية لمسائل البيان: دار التضامن للطباعة، ط٢، ١٩٨٠.

– خصائص التراكيب . دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: دار التضامن للطباعة، ط٢، ١٩٨٠.

– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الكتاب :التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر :ط١، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ م.

– محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: الكتاب: تفسير البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض. شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ، ٢) د.أحمد النجولي الجمل. دار النشر: دار الكتب العلمية لبنان، بيروت، ط: ١.

– محمد جواد: مغنية: مذاهب فلسفية. دار الهلال.

– محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس: دار الشروق، ط١، ١٩٨٢.

– محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن: مجمع البحوث الإسلامية، ط١، إيران، ١٤٠٨هـ.،،

–محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، الناشر: اليمامة، دار ابن كثير، دار الإرشاد، ط: ٣. ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

–مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: المكتبة العصرية للطباعة

–منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دول.

–ابن النديم: الفهرست ، تحقيق : رضا تجدد ابن علي زين العابدين ، دار المسيرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م.

–ياقوت الحموي:، معجم الأدباء ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

–يونس جاسم، الوصف في القرآن الكريم: دار المكتبي للطباعة والنشر، ط٢، سوريا، ١٩٩٩.،،

المجلات والدوريات العلمية

- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر العدد السابع ٢٠١١.
- كاصد ياسر حسين، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد التاسع، أيلول، ١٩٧٨.،،
- محمد السيد سليمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلد٩، العدد٣٦، السنة٩، ١٩٨٩.،،
- موريس: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا . نقلاً عن :g.leech : idem.
- ن. ليزيرون، ج. بوسبيلوف، الصورة الفنية وطبيعتها: ترجمة: سامي محمد، مجلة الأديب المعاصر، العدد١٨، السنة الرابعة، تموز، ١٩٧٦.،،

المراجع الأجنبية

- The Novel and Modern world: David Daicheas, university of – ١ Chicago press, London, 1973.،،
  - ١٤٣١هـ. ٢٠١٠ م.
- The Poetic Image: Lewis (C.d), London, 1968 – ٢.

الهوامش

[١]ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دول. ٣٢٧.

[٢]جميل صليبة: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج:١ ٢٠٣. انظر أيضًا مغنية: محمد جواد: مذاهب فلسفية. دار الهلال، ١٤٠. وينظر أيضًا: بخيت، هاني محمد رشاد: البراجمتية الأمريكية المعاصرة واصولها اليونانية، المكتبة المصرية، ١٥.

[٣]أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٨، ٩.

[٤]فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، ت: سعيد علوش، ٨.

[٥]المدارس اللسانية المعاصرة، المصدر السابق، كتبة الآداب، ١٦٦.

[٦]طالب بن عثمان، البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، ١٢٥.

[٧]آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المصدر السابق، ١٤، نقلاً عن: Thomas. J. 1996. P 3.

[٨]المصدر السابق ٥.

[٩]طالب بن عثمان، البراغمتية، وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات. ١٢٥.

[١٠]المدارس اللسانية المعاصرة، المصدر السابق، مكتبة الآداب، ١٦٦.

[١١]المقاربة التداوليةن المصدر السابق، ٩.

[١٢]أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط:١. ٢٠١٥م. ص٣.

[١٣]موريس: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا ٤٠. نقلاً عن: g.leech: idem; p.5.

[١٤]أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ١١.

[١٥]موريس: التداولية البعد الثالث سيميوطيقا ، المصدر السابق، ٤٠.

[١٦]أحمد فهد صالح شاهين: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٣٠.

[١٧]سورة : النمل، الآيات: ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩.

[١٨]الكتاب: تفسير البحر المحيط، المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض. شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ، ٢ (د.أحمد النجولي الجمل. دار النشر: دار الكتب العلمية لبنان، بيروت، ط: ١. ١٤٢٢ ÷. ٢٠٠١

[١٩]ينظر : الصحاح (نطق) ١٥٥٩/٤ ، ولسان العرب (نطق) ٣٥٤/١٠ ، والقاموس المحيط(نطق) ٢٨٥/٣ وتاج العروس (نطق) ٧٧/٧ ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية ٥٣١ وما بعدها وكلام العرب ٤٦.

[٢٠]ينظر : الصحاح (نطق) ١٥٥٩/٤ ، ولسان العرب(نطق) ٣٥٤/١٠ ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (نطق) ٧٢٧/٢.

[٢١]الكتاب: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت:٥٣٧ ه.) تح: عبد الرزاق المهدي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج: ٣. ص: ٣٥٨ ، ٣٥٩.

[٢٢]الكتاب: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط: ١. ١٤٢٢ ه. ٢٠٠١ م. ج: ٧. ص: ٥٨.

[٢٣]الكتاب :التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ م. ط: ١. ج: ١٩. ص: ٢٣٦ ، ٢٣٧.

[٢٤]سورة: النمل، آية: ١٨.

[٢٥]سورة : النمل، من الآية: ١٨.

٢٦الكشاف، الزمخشري، ج: ٣. ص: ٣٦٠.

٢٧سورة: النمل، من الآية: ١٧.

٢٨الكتاب: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسب المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠ ه.) تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١. ١٤١٥ ه. ج: ١٩. ص: ١٧٥.

٢٩سورة: النمل، من الآية: ١٨.

٣٠سورة : النمل، من الآية: ١٨.

٣١البحر المحيط، أبو حيان. ج: ٧. ص: ٦٠.

٣٢سورة: النمل، من الآية:١٩.

٣٣سورة: النمل، من الآية: ١٩.

٣٤سورة: النمل، الآيات: ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨.

٣٥سورة: النمل، من الآية: ٢٠

٣٦سورة: النمل، من الآية: ٢٠

٣٧سورة: النمل، من الآية: ٢١

٣٨سورة: النمل، من الآية: ٢٢

٣٩سورة: النمل، من الآية: ٢١

٤٠سورة: النمل، آية : ٢٣

٤١سورة: النمل، الآية: ٢٨.

٤٢سورة: النمل من الآية: ٣٢.

٤٣سورة: النمل، الآية: ٣٣.

٤٤سورة: النمل، من الآية: ٣٣.

٤٥سورة: النمل، الآية: ٣٥.

٤٦سورة: النمل، الآيتان: ٣٦ ، ٣٧.

٤٧سورة: النمل، من الآية: ٣٦.

٤٨الكشاف: الزمخشري، ج: ٣ ، ص: ٣٧١.

٤٩سورة:النمل، من الآية ، ٣٨.

٥٠التحرير والتنوير" الطاهر بن عاشور ، ١٩/ ٢٧٠.

٥١سورة: النمل، الآية: ، ٣٩.

٥٢سورة: النمل، من الآية: ٤٠.

٥٣التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ، ١٩/ ٢٧٠.

٥٤سورة: النمل، من الآية: ٤٠.

٥٥سورة:النمل، الآية: ٤١.

٥٦التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٩/ ٧٢.

٥٧سورة: النمل، الآيات: ٤٢، ٤٣، ٤٤.

٥٨سورة: النمل، من الآية: ٤٤.

٥٩سورة: النمل من الآية: ٤٤